10

طُمـوحُ أهـلِ الفضـلِ

تمهيد: كانَ ظُهورُ كتابِ كليلةَ ودمنةَ حدثًا أدبيًّا عظيمًا، لقِيَ مِنَ النّجاح والإقبالِ إذّاك مَا قلّ نظيرُهُما في تاريخِ الأدبِ العربيّ، فالكتابُ يَعْرِضُ بالنّقدِ لسُوءِ سلوكِ الحاكِمِ وفسادِ بِطانَتِهِ، ومَا يَحوكُهُ أفرادُهُ مِنْ دسائِسَ، نَهَمًا بالجاهِ والسّلطةِ وإرضاءً للطّموح والمصْلحةِ الخاصّةِ.

بشير المجدوب من تقديم كتاب كليلة ودمنة، دار التركي للنشر، تونس 1989

1 قالَ دمنةُ لأخيهِ كَليلةَ: يا أخِي مَا شَأنُ الأسَدِ مُقيمًا مَكانَهُ لا يَبْرَحُ وَلا يَنشُطُ؟ قالَ لهُ كليلةُ: مَا شَأنُكَ أنتَ والمَسْألةَ عنْ هَذا؟ نَحْنُ علىَ بابِ مَلِكِنا آخِذينَ بمَا أحَبّ وتاركِينَ لمَا يَكرَهُ. ولسْنا مِنْ أهْلِ المرْتبَةِ الّتي يَتنَاوَل أهلُها كلامَ المُلوكِ والنّظرَ في أمُورِهِمْ. فأمْسِكْ عَنْ هَذا، واعْلَمْ أنّهُ مَنْ تَكَلّفَ مِنَ القوْلِ والفِعْلِ مَا ليْسَ مِنْ 5 شَأنِهِ أصَابَهُ مَا أصَابَ القِرْدَ مِنَ النّجّارِ.

قالَ دِمْنَةُ: وَكيْفَ كانَ ذَلكَ؟

قالَ كليلةُ: زَعَمُوا أنّ قِردًا رَأى نَجّارًا يَشُقّ خَشَبَةً بَيْنَ وَتِدَيْنِ، وَهْوَ رَاكِبٌ عَلَيْها؛ فَأعْجبَهُ ذلكَ. ثمّ إنّ النّجّارَ ذَهَبَ لبَعْضِ شَـأنه. فقَامَ القِرْدُ؛ وَتكَلّفَ مَا ليْسَ مِنْ شُـغْلِهِ، فرَكَبَ الخَشَبَةَ، وجَعَلَ ظَهْرَهُ قِبَلَ الوَتِدِ، ووَجهَهُ قِبَلَ الخَشَبَةِ، فتَدَلّى ذَنَبُهُ 10 فِي الشّقّ، ونَزَعَ الوَتِدَ فَلزَمَ الشّقّ عَلَيْهِ فَخَرّ مَغْشِيّا عَلَيْهِ. ثمّ إنّ النّجّارَ وَافاهُ فرَآه علـى تِلكَ الحَالةِ، فَأقْبَلَ عَلَيْه يَضْرِبُهُ. فكانَ مَا لقِيَ مِنَ النّجّارِ مِنَ الضّرْبِ أشَـدّ مِمّا أصَابَهُ مِنَ الخَشَبَةِ.

قالَ دِمْنَةُ: قدْ سَـمِعْتُ مَـا ذَكَرْتَ، وليْسَ كلّ مَنْ يَدْنُو مِـنَ المُلُوكِ يَقْدِرُ عَلى صُحْبَتِهِـمْ ويَفُـوزُ بِقُرْبِهِمْ، وَلكِنْ اعْلَـمْ أنّ كلّ مَنْ يَدْنُو مِنَ المُلـوكِ ليْسَ يَدنُو 15 مِنهُمْ لبَطنِهِ، وإنّما يَدنُو مِنْهمْ ليَسُـرّ الصّديقَ ويَكْبِتَ العَدُوّ. وإنّ مِنَ النّاسِ مَنْ لا مُـرُوءَةَ لهُ؛ وَهُمْ الّذينَ يَفرَحُونَ بالقليلِ وَيَرْضَوْنَ بالدّونِ؛ كالكلبِ الّذي يُصيبُ عَظْمًا يَابسًا فيَفرَحُ بِهِ. وأمّا أهْلُ الفَضْلِ وَالمُرُوءَةِ فلا يُقنِعُهُمْ القليلُ، ولا يَرضَوْنَ بهِ، دُونَ أنْ تسْـمُوَ به نُفوسُهُمْ إلى مَا هُمْ أهْل لهُ، وَهوَ أيْضًا لهُمْ أهْلٌ؛ كالأسَدِ الّذي يَفْتَـرِسُ الأرْنَبَ، فَإذَا رَأى البَعِيرَ تَرَكهَـا وطَلَبَ البَعيرَ، ألا تَرَى أنّ الكلْبَ يُبَصْبِصُ 20 بِذَنَبِهِ حتّى تَرْمِيَ لهُ الكِسْرَةَ من الخُبْزِ فتُقنِعَهُ وتُرضِيَهُ مِنْكَ، وأنّ الفيلَ المُعْتَرَفَ بفَضْلِهِ وقُوّتِهِ إذا قُدّمَ إليْهِ عَلفُهُ لا يَعْتَلِفُهُ حتّى يُمْسَحَ وَجْهُهُ ويُتَمَلّقَ لهُ.

وَتِدَيْن: مُثنّى وَتِدٌ، وهْو يشبهُ المِسمارَ من خشبٍ.

يَكْبِتُ: يَغيض ويُذَلّ.

بَصْبَصَ ذَنَبَهُ: حَرّكَهُ.

اعْتَلَفَ: أكَلَ.

فمَــنْ عاشَ ذا مَالٍ وكانَ ذَا فَضْلٍ وَإفضَالٍ علىَ أهْلِهِ وَإخْوَانِهِ فهُوَ وَإنْ قَلّ عُمُرُهُ طويلُ العُمُرِ. ومَنْ كانَ فِي عَيْشِــهِ ضِيقٌ وقِلّة وإمْسَــاكٌ على نَفْسِهِ وَذَويهِ فالمَقبُورُ أحْيَى مِنْهُ. ومَنْ عَمِلَ لِبَطنِهِ وَقَنِعَ وَترَكَ مَا سِوَى ذلكَ عُدّ مِنَ البَهائِم.

25 قــالَ كَليلَــةُ: قَدْ عَرَفْــتُ مَقالَتَكَ، فرَاجِعْ عَقلــكَ، وَاعْلَمْ أنّ لكلّ إنسَــانٍ مَنزْلَةً وَقَدْرًا.

عبد اللّه بن المقفّع، كليلة ودمنة، تقديم بشير المجدوب،
دار التركي للنشر، تونس 1989 ص ص 109-111

المَقَالَةُ: القَوْلُ.

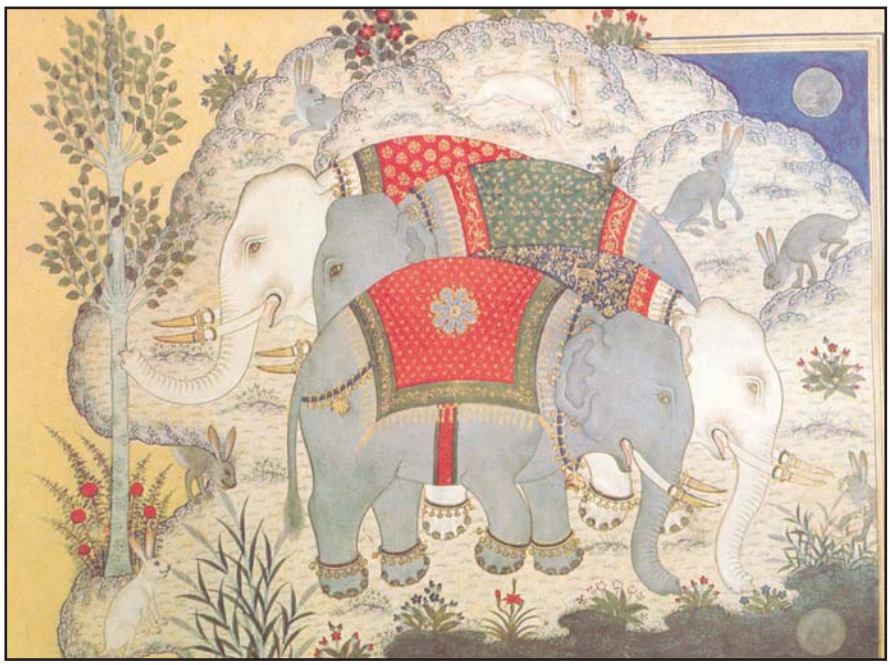

صورة لفيلة من كليلة ودمنة (مأخوذة من مخطوطة من القرن التاسع للهجرة)

تعريفات

أعـلام:

المؤلّـف: عبد اللّه بن المقفّع- (106 هـ / 142 هـ)، مخضرَم عاش في الدّولتيْن الأمويّة والعبّاسيّة، فارسيّ المولد عربيّ المنشإ. من أشهر كُتّاب النّثر في الأدب العربيّ، اتّسمتْ آثاره بالشّمول في تناوُل القضايا السّياسيّة والاجتماعيّة والفكريّة. أهمّ آثاره «الأدب الكبير»، «الأدب الصّغير»، «رسالة الصّحابة»، ترجَم كتاب «كليلة ودمنة» عن الفارسيّة وأضفى عليه من روحه الكثيرَ.

كليلة ودمنة: ابْنا آوى بهما تسمّى الكتاب وسار ذِكرُه بين النّاس.

مصطلحات:

أقسام النّصّ الحجاجيّ:

بعد الظّفر بالحُجج والتّفكير في مكوّنات الخطاب... لا بدّ من التّفكير في ترتيب تلك الحُجج ووضع كلّ واحدة في المكان المناسب لها فيزيدها ذلك قوّة ويمكّن لها في ذهن المخاطَب... فالمَطالع والمقدّمات (Exorde) مدعوّة إلى استمالة الأعناق... وجلب ودّ السّامع مع الزّجّ به في غمرة القضيّة. أمّا الخبر (Narration) فحديث عن الوقائع باعتماد التّاريخ أو الخرافة... وشروطه الإيجاز والوضوح والمحتمل... أمّا الخاتمة أو مخارج النّصّ (Péroraison) فإنّها تلخّص ما انتهى إليه الخطيب وتسعى إلى تحريك الجمهور والفعل في عواطفه.

حمّادي صمّود، أهمّ نظريّات الحجاج...، ص ص 15 - 16

أطراف الحجاج:

لا تدور العمليّة الحِجاجيّة قطّ في الفراغ؛ إنّما تقتضي عمليّا اتّصالاً ذهنيّا بين متكلّم وسامع: إذ يجب أن يكون الخطاب مسموعا والكتاب مقروءًا، ومن دون ذلك فإنّ أثرها معدوم.

ش. بيرلمان، الإمبراطوريّة البلاغيّة: البلاغة والحجاج، المكتبة الفلسفيّة، ج. فران، ط. 3، 1997

الفهم والتّحليل

1 - يتجاذب النّصّ موقفان من الأسد، أحدهما أساسه المجاملة والمحاباة، والثّاني المناصحة والتّسامي: قسّمْ النّصّ وفق هذيْن المعطييْن (الأطروحتين) المدافع عنهما.

2 - استدلّ كليلة على رؤيته بالمثل وكذا عمد دمنة إلى المثال فأيّ وجاهةٍ حجاجيّة لكليهما في إقناع الطّرف الآخر والتّأثير فيهِ؟

3 - للحوار وظيفتان: إخباريّة رسَمَت أطروحتيْ كليلة ودمنة وحِجاجيّة أبانتْ عن قدرتهما على المحاورة؛ بيّنْ قيمة الحوار في العبور إلى النّتيجة.

4 - في النّصّ نموذجان لكيفيّة التّعامل مع السّائس: استخرجْهما.

التّفكير وإبداء الرأي

قال دمنة: «ومنْ عاشَ ذا مالٍ وكانَ ذا فضْلٍ على أهلِهِ وإخوانِهِ وإن قَلّ عمُرُهُ طويلُ العمُرِ». تَوسّعْ في هذا القول مُبديًا رأيَك.

إنتاج كتابيّ

للنّاس في مصادقة بعضهم سلوكانِ: أحدُهما نفعيّ غايته تحقيقُ مآربَ خاصّة والثّاني فاضل يَروم التّرفّع عن وضيع الأشياء. حرّرْ فقرة حجاجيّة لا تقلّ عن عشرةِ أسطر تدافع فيها عن مبرّرات تبنّي أحد الرّأييْن في عصرنا الحاضر مستعملاً روابطَ حجاجيةً متنوّعةً.

نافذة لغويّة

تركيبُ الشّرْط: مَنْ... فَـ...

1. مَنْ عَمِلَ لبطنِهِ وقنِعَ وتركَ ما سِوى ذلك عُدّ مِنَ البهَائمِ.

مَنْ: اسم مبهم يدلّ على العاقل. ورد في الجملة الماضية موصولا [مَنْ] وصلته مركّبة من جملتين معطوفتيْن [عَمِلَ... وَ تَرَكَ].

- وقع هذا المركّب الموصوليّ: مبتدأ ← خبره ←

[مَنْ عَمِلَ وَتَرَكَ...] [... عُدّ...]

- أفاد هذا التّركيب الإطلاق والتّعميم في الرّبط بين المبتدإ والخبر = كُلّ مَنْ عَمِلَ وترَكَ فإنّهُ يُعدّ...

لذلك نقول: إنّ [مَنْ] هنا أفادت معنى الشّرط.

مَنْ	عمِلَ	وتَرَكَ	عُدّ...
	معطوف عليه	معطوف	
موصول اسميّ	صلة مركّب عطفيّ		
مركّب موصوليّ مبتدأ			مركّب إسناديّ خبر
جملة اسميّة مركّبة تفيد الشّرط			

المعنى الشّرطيّ الّذي تفيده هذه الجملة يمكن التّعبير عنه بما يلي:

مهما كانت «س»، فإنّه إن عمل «س» وترك... فإنّ «س» معدود من البهائم

استعمل «مَنْ» مع مضمون العبارات التّالية لتكوين جمل اسميّة مركّبة دالّة على الشّرط:

- الذّوق الرّفيع / الموسيقى .....
- النّجاح / العمل .....
- الفهم / التّركيز .....

1 ولا عجب فالكتاب [كليلة ودمنة] قائم على تكثيف الرّموز وتصريفها في شؤون الذّات والسّياسة والمجتمع، وهو إلى ذلك اختراق للزّمان والمكان، فهو مستقرّ حكمة الهند وإضافات الفرس وبيان العرب...

والحقيقة أنّ بنية الكتاب تستجيب للدّراسات السّرديّة، فالأثر قائم على المثل والأمثال إنّما توضّح غايات وضعها السّارد وسعى إلى إخراجها من مجال التّجريد إلى مجال الحسّ والتّمثيل، أو ليس عبد اللّه بن المقفّع من أطلق قولته المأثورة «إذْ جُعِلَ الكَلامُ مَثلاً كَانَ أوْضحَ للمَنطقِ وآنَقَ للسّمْع وأوْسَعَ لشِعاب الحَديثِ»*، والكتاب متّصل تاريخيّا بجنس المثل العربيّ القديم الّذي يُقصَد منه التّشبيه والإيجاز والتّلميح، فيكسِبُه الذّيُوع والانتشار بين النّاس.

ولقد انكشف لنا عند تدبّر الكتاب وتحليله ركن أساسيّ لا نخال الدّراسات السّرديّة على كثرتها إلاّ نتيجة له وفرعا عنه، وهو ركن الجدال المولّد للحِجاج المفضي حتما إلى ضرب المثل للتّوضيح والاستدلال فيفتح المثل بذلك للسّرد بابا عريضا.

محمد علي القارسي، من مظاهر الحجاج في كليلة ودمنة،
حوليات الجامعة التونسية عدد 41 سنة 1997، ص.ص 130-131

* [انظرْ هامش 8 ص 131 من حوليّات الجامعة التّونسيّة عدد 41].

الـــــرّاوي

2 زعمـوا أنّ: عبـارة تعلـن للمتلقّي أنّ السّـرد قد بـدأ وتَحدّد نوعُه... فالسّـرد الكلاسيكيّ والشّعبيّ يحرص على احترام افتتاحيّة معيّنة تتكرّر بصفة ملحوظة. عندما يورد بيدبا حكاياته فإنّه لا يدّعي أنّه اخترعها بل ينسبها إلى أشخاص لا يسمّيهم، وهذا ما نجده في عبارة «زَعمُوا أنّ» الّتي تبتدئ بها كلّ حكاية...

فبعض ملامح أصحاب الزّعْم تفرض نفسها، فهم عاشوا قبل بيدبا، وهذا السّبق في الزّمن يمنحهم مزيّة عظيمة، ثمّ هم حكماء حَكوْا ما حَكوْا قصد إفادة من سيأتي بعدهم ويطّلع على أقوالهم، فالحكمة نبعت من الماضي وخرجت من أفواههم.

عبد الفتّاح كيليطو، الحكاية والتّأويل، ط. 2، دار توبقال للنشر،
الدار البيضاء 1999، ص ص 34-35

تطبيقُ الخُطاطة الحِجاجيّةِ على نصّ: «طمـوحُ أهلِ الفضـلِ»

يقوم نَصّ «طموح أهل الفضل» لابن المقفّع على أطروحتين:

1

الأطروحة الأولى:

[من السّطر الثّاني إلى السّطر الثّاني عشر]: وفيها دافع كليلة عن أطروحته المتمثّلة في حمل دمنة على عدم الخوض في السّؤال عن أمر الأسد، ويخضع حجاج كليلة للخطاطة التّالية:

المعطى: مسألة دمنة عن شأن الأسد مجلبة لسخطه ← إذَنْ: فليمسك دمنة عن الخوض في تلك المسألة (وهو مدار الأطروحة) [وقد جاءت صريحة]

الموضع: [ذَلكَ أنّ] التّدخّل بالقول والعقل في شأن الغير مجلبة للضّرر.

ما يدعمه في النّصّ : قصّة القرد والنّجّار.

2

الأطروحة الثّانية:

[من السّـطر الثّالث عشـر إلى آخر النّصّ]: وفيها عرض لأطروحة دمنة ومدارها على ضرورة أن يطلب الإنسان المنزلة الرّفيعة وذلك على عكس البهائم، وحجاج دمنة خاضع للخطاطة التّالية:

المعطى: القناعة بالقليل والعمل للبطن من شيم البهائم ← إذَنْ: على المرء أن يطلب المنزلة الرّفيعة. [وقد جاءت ضمنيّة]

الموضع: [ذَلكَ أنّ] أهل الفضل لا يقنعون بالدّون.

ما يدعمه في النّصّ : أمثال ← الأسد، الكلب، الفيل

ورقة منهجيّة

خُطاطةُ النّصّ الحِجـاجيّ (1): طبيعتهُ وأطرافهُ